الفصل الثالث

نقد المنهج والافتراءات الاستشراقية حول العقيدة في الله عز وجل وصفاته تعالى

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: نقد المنهج.

المبحث الثاني: نقد فريتهم القائلة إن العقيدة الإسلامية تأثرت بالشركيات البيئية والعربية.

المبحث الثالث: نقد الفرية القائلة إن العقيدة الإسلامية في الله تم الاقتباس لها من اليهودية والنصرانية.

المبحث الرابع: نقد الافتراءات الاستشراقية في قضية الأسماء والصفات الإلهية.

obeikandl.com

obeikandl.com

نقد المنهج والافتراءات الاستشراقية حول العقيدة في الله عز وجل وصفاته تعالى

المبحث الأول : نقد المنهج:

١ - إن المنهج الذي استخدمه المستشرقون وتبنوه هو منهج علماء الاجتماع الذين كتبوا عن وجود المعتقدات في إفريقيا وغيرها ، وهو منهج مادي بحت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاهدات والوقائع ، وهو إن صح تطبيقه كلياً على الأديان البدائية الوثنية أو جزئياً على الأديان السماوية المنحرفة كاليهودية والنصرانية ، فلا يصح تطبيقه مطلقاً على الإسلام الدين الحق لسبب بسيط وواضح وهو أن الإسلام له مصدران محفوظان من التحريف والمغالطة.

أما الأول فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي طمأن المولى عز وجل هذه الأمة بحفظه له : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] ،

وأما الثاني فهو السنة الغراء الشارحة لكتاب الله والمبينة لمجمله في تفصيل وإيضاح ، وقد قيض الله علماء أجلاء وحفَّاظاً أوفياءَ أبعدوا الدخيل عليها وحافظوا على صحيحها عبر القرون والأزمان وإلى يوم الناس هذا ، وذلك كله غير موجود عند أهل الوثن ولا عند السابقين من أهل الكتاب ، ومن هنا تعرضت هذه الأديان لمؤثرات بيئية من غير شك ورفعت عن مصادرها صفة الربانية ، فإن جاء مستشرق وطبق منهجاً اجتماعياً عليها فقد يكون مقبولاً شيئاً ما ، أما الإسلام فصفة الربانية

(١) سورة الحجر الآية : ٩.

ملازمة له ولا يصح رفعها كما يزعم الزاعمون ؛ لأن استقلاليته عن غيره بينة وذاتيته واضحة وعقيدته لا شبهة فيها ولا مجاملة، فهو يدعو الناس لا إلى عبادة بشر أو حجر أو شجر بل إلى خالق هذه الأشياء كلها، ويخبرهم أن الوسائط بينه وبين خلقه من الناس مرفوعة وممنوعة، فإذا قال العبد يارب قال الرب لبيك ياعبد، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] فأين أوجه المشابهة وكيف يطبق عليه منهجاً أرضياً وهو عقيدة إلهية سماوية.

٢- ثم إن ارتباط المنهج بالمشاهدات والوقائع التاريخية وجعلها سبباً في نشأة العقيدة الإسلامية أو ما قبلها من عقائد كانت صحيحة هو أمر بعيد عن الموضوعية ؛ ولذا فتحيز المستشرقون له أمر عجيب ومرفوض ؛ لأن معنى ذلك إسقاط مفهوم الغيبيات ومنها الوحي الإلهي بالكلية، وغير مقبول لا عقلاً ولا منطقاً الحكم على كل ما غاب عن المشاهدات بأنه غير موجود. فكم من الأشياء غير مشاهدة ومع ذلك فهي موجودة.

فمثلاً الروح التي هي سبب حركة البدن هل رآها هؤلاء المستشرقون؟ بالطبع لا فهل يقبلون الحكم بعدم وجودها؟!

العقل الذي بسببه نحكم أننا عقلاء هل أبصره هؤلاء؟ وهل يستطيعون أن يحكموا بعدم وجوده عندهم أم لا؟

بناء على منطقهم المعوج هو غير مشاهد، ومن ثم فهو غير موجود، وهؤلاء غير عقلاء، ويجب أن يحولوا فوراً إلى أقرب مستشفى عقلي لعلهم يعقلون، وإلا فليرجعوا عن هذا المنهج المادي.

٣- هذا بالإضافة إلى أن تطبيق المستشرقين لهذا المنهج على العقيدة الإسلامية وتعاليمها لا يصحبه دليل مقنع ولا برهان ساطع يعضد أقوال أصحابه ؛ لذا كان هذا المنهج مثار نقد عند كثير من الباحثين الاجتماعيين بالذات خاصة الغربيين ومن هؤلاء :

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

عالم الاجتماع البريطاني الذي ذكر بأن من فعل ذلك فقد انطلق من منطلق إلحادي أو عدائي إزاء الأديان السماوية. كما انتقدت أيضاً السيدة (مريم جميلة) هذا المنهج في دراستها للإسلام.

وكتب (أدوارد سعيد) في معرض حديثه عن الاستشراق الأمريكي المعاصر بأن هذا المنهج الاجتماعي في تناوله للإسلام قد أتى بدراسات متحيّزة وغير دقيقة وضرب أمثلة كثيرة على ذلك[1]

وفي النهاية أقول:

إن منطلق المسلمين العقدي يقوم على التسليم بأن العقيدة الإسلامية ثبتت بالوحي الإلهي الرباني، ولا أثر للبيئة والمجتمعات في إيجاد هذه العقيدة الغراء، وأن محمداً ﷺ عرَّف بربه كما أخبره ربه بذلك وبلغ للناس هذا التعريف ورسم لهم الطريق الصحيح ليتبعوه ولا يتبعوا السبل التي تفرقهم وتبعدهم عن ربهم خالقهم ورازقهم، وقد كملت هذه العقيدة في عهده ﷺ، ومصادرها باقية معنا إلى يومنا هذا، فإن انحرف المسلمون عنها قليلاً فلا يجب أن يحسب ذلك على الإسلام بل يجب أن تكون المرجعية إلى مصادر الإسلام المتمثلة في الكتاب والسنة لا المسلمين ولا البيئات ولا الأحداث التاريخية، فإن فطن المستشرقون إلى ذلك كانت أحكامهم موضوعية ومناهجهم صحيحة، وإن خالفوا وحكموا المناهج الأرضية وأصروا على المؤثرات الخارجية فحسب فأقوالهم لا يصح أن تصبغ بالصبغة العلمية، وللأسف فالخط الأخير هو الذي سار عليه المستشرقون.

وعليه بنوا افتراءاتهم حول العقيدة، ولنضع الآن هذه الافتراءات في ميزان النقد كما أسلفنا ذكراً.

(١) راجع دراسات استشراقية - بحث د/ محجوب كردي. ص١٦٤-١٦٦ بتصرف.

المبحث الثاني

نقد فريتهم القائلة إن العقيدة الإسلامية تأثرت بالشركيات البيئية والعربية

أشرنا من قبل أن الذي افترى ذلك هو كل من (مونتجمري واط وماكدونالد وبروكلمان) وقد جاؤوا بأقوال بنيت على المنهج السابق، وهذا المنهج قد ثبت بطلانه، وإليه وجهت انتقادات وما بني على باطل فهو باطل.

ودليل بطلان هذه الافتراءات والأقوال قد ينحصر بعد ذلك في أمرين :-

الأمر الأول : هو واقع العقيدة الإسلامية.

الأمر الثاني : فساد الدليل الذي ساقوه.

أما عن الأول: فإن واقع العقيدة الإسلامية يخالف تماماً عقائد أهل مكة وبقية بلاد العرب وقت بعثة النبي الأكرم محمد ﷺ فها هي الكعبة المشرفة يوضع على ظهرها الصنم الأعظم عندهم وهو هبل وسواع قد اتخذته قبيلة هذيل، ويغوث كان لقبيلة مذحج ويعوق كان لقبيلة همدان، واللات كان لقبيلة ثقيف، والعزى كان لقبيلة قريش، ومناة كان لقبيلة الأوس. والجميع لهذه الأصنام يسجدون ظناً منهم بأنها تقربهم إلى الإله الخالق مع إقرارهم بأنه خالق: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (١)

وبجوار هؤلاء كانت طوائف تقر أيضاً بالله الخالق لكنها تنكر البعث والنشور ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (٢).

(٢) كما وجد بين العرب من لا يقبل الاعتقاد بوجود الخالق سبحانه وينكر البعث والإعادة ويزعم أن الدهر وحده هو سبب ذلك: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

(١) سورة الزمر الآية: ٣.

(٢) سورة يس الآية: ٧٨، ٧٩.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1] إلى غير ذلك من العقائد التي كانت تعج بها مكة وبلاد العرب.[2]

فلما بعث النبي ﷺ بالعقيدة السماوية جاءت بواقع يخالف ما عليه واقع أهل بيئته، وحاربت ما عليه هؤلاء، وأثبتت أن الله واحد لا شريك له وهو المعبود بدون وسائط ولا شفعاء: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3]

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[4]

ثم سخرت من الدهرين المنكرين للخالق والمنكرين للبعث والإعادة وأخبرت أن الله هو منشئ الخلق ولا شريك معه، وهو الذي يعيده ولا مشقة عليه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[5] إلى غير ذلك من العقائد.

إذن فلا يوجد مجرد وجه شبه بين العقيدة في الإسلام وبين العقائد البيئية وقت مجيء الإسلام.

ولو وجد لرأينا حتى مجرد أثر لتلك المؤثرات، فالأثر يدل على المؤثر، فهل تشم رائحة هذا الأثر في العقيدة الإسلامية التي تمنع الوسطاء وتوحد الله وتبين أنه وحده الخالق دون سواه؟

ثم هل أثبت كتاب واحد من كتب التاريخ أن النبي ﷺ شوهد يوماً ما ساجداً أمام صنم، أو راكعاً أمام حجر، أو معتقداً في شمس أو قمر أو شجر، أو رافعاً يديه لغير الخالق جل وعلا؟

---

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٤.

(٢) راجع الملل والنحل للشهرستاني، ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٩.

(٤) سورة النجم الآية: ٢٦.

(٥) سورة الروم الآية: ٢٧.

كل ذلك لم يكن بل أهل مكة أنفسهم لا المستشرقون لم يرو أثراً لذلك قط.

فكيف رأى السادة المستشرقون ما لم يحكيه التاريخ وما لم يشاهده أهل مكة قومه وأهله، ومالم يقره واقع العقيدة الإسلامية الموحى بها من قبل السماء؟؟

إن الثابت حقاً وصدقاً أنه خالف الشركيات بكل أنواعها وحطم الأصنام وعلى رأسها كبيرها وردد وقت ذاك قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.[1]

وأما الأمر الثاني: وهو فساد الدليل القائم على إيراد قصة الغرانيق.

والغرانيق هي الطير البيض، وإحداها غرنوق كزنبود وفردوس، وفيه لغات غير ذلك.[2]

وفي عهد رسول الله ﷺ كان المشركون يطلقون هذا الاسم على أصنامهم زعماً منهم أن الأصنام ترتفع إلى الله تعالى كالطير البيض فتشفع عنده لعابديها.[3]

وقديماً زعم المشركون أن النبي ﷺ قد ذكر هذه الغرانيق (الأصنام) في بعض قراءته بخير.

وحديثاً جاء المستشرقون ليرددوا المزاعم نفسها حول القصة ويفتروا القول بأن محمداً -عليه الصلاة والسلام- قد جامل المشركين في عقائدهم وأدخل على عقيدته جزءاً من شركياتهم حين ذكر الغرانيق.

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٨١.

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيزوآبادي. مادة غرنق، ص١١٨٠ مؤسسة الرسالة.

(٣) أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن - للشنقيطي ج٥ ص٧٣٢ . عالم الكتب - بيروت.

ادعى ذلك (بروكلمان وواط) في أقوالهما السابقة ظناً منهما أن ذلك دليل وبرهان على صدق ما يفترون.

وكذب الجميع فيما ذكروا وما صدقوا، لأن القصة من أساسها باطلة ودخيلة وهي من كيد المشركين والشيطان.

وإذا كان بعض المفسرين كالطبري - رحمه الله وغيره قد أوردها- بدون تعليق تحت تفسير قوله تعالى من سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾[1]

فإن الأكثرية من علماء الحديث والتفسير في القديم والحديث قد اثبتوا فسادها وأنها نسبت زوراً إلى قراءة رسول الله ﷺ وأن الشيطان هو الذي أوحى إلى أوليائه من المشركين بأن النبي الأكرم ﷺ قد ذكر أصنامهم بخير في قراءته.

مضمون هذه القصة:

أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة النجم بمكة فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾.[2]

ألقى الشيطان على لسانه -تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى- فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المشركون والمسلمون، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. ومضوا فرحين مسرورين، ثم شاع في الناس أن أهل مكة أسلموا حتى رجع كثير من المهاجرين إلى الحبشة ظناً منهم أن قومهم أسلموا فوجدوهم على كفرهم، وبسبب ذلك حزن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فنزلت آية الحج التي نحن بصددها.

---

(١) سورة الحج الآية: ٥٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٩ـ٢٠.

وهاك طرفاً من ردود العلماء على القصة:

أولاً: نقد الروايات التي جاءت بها القصة:

١- يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله- إن ما ذكر من قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا قد جاءت من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، ثم ذكر هذه الطرق وأثبت في عقب كل واحدة منهن صحة حكمه[١].

٢- ويقول الإمام الشوكاني بعد سياقه لهذه القصة:

ولم يصح شيء من هذا ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المشككون بكتاب الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝٤٦﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾[٣] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝٧٤﴾[٤]

فنفى المقارنة للركون فضلاً عن الركون.

ثم ذكر الشوكاني عن البزار: أن هذه الرواية لم ترو بإسناد متصل، وعن البيهقي أنه قال: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وأن رواتها مطعون فيهم، وذكر عن عن إمام الأئمة ابن خزيمة: أن هذه القصة من وضع الزنادقة.[٥]

٣- أما صاحب أضواء البيان فيقول: اعلم أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعاً ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج وصرح بعدم

(١) راجع تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ج٣ ص٢٣٩، دار التراث العربي - القاهرة.

(٢) سورة الحاقة الآية: ٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة النجم الآية: ٣.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٧٤.

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الوراية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، ج٣ ص ٥٢٠ - المكتبة التجارية . مكة المكرمة.

ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب، والمفسرون يرون هذه القصة عن ابن عباس عن طريق الكلبي... ومعلوم أن الكلبي متروك..

وقد اعترف الحافظ ابن حجر مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفه إلا طريق سعيد بن جبير.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية ابن خالد، وهو وإن كان ثقة فقد شك في وصلها.. فالراوي شك في الوصل ومعلوم أن ما كان كذلك لا يحتج به لظهور ضعفه. ثم انتهى إلى القول... وقراءته ﷺ وسجود المشركين ثابت في الصحيح ولم يذكر فيه شيء من قصة الغرانيق وعلى هذا القول الصحيح وهو أنها باطلة.[1]

تلك هي بعض الأقوال التي جاءت لتبين أمامنا أن جميع طرق الرواية التي جاءت بها القصة غير صحيحة، فمن احتج بثبوتها من المستشرقين وأمثالهم فإنه لا يملك دليلاً يقوي احتجاجه على ذلك؛ لأن العلماء الذين تتبعوا الرواية لم يتركوا له مجالاً وهم حجة لأنهم أهل التخصص في هذا الفن.

ثانياً: نقد القصة بتفسير الآية:

وطالما تقرر أمامنا بطلان تلك الروايات التي تزعم بأن النبي ﷺ قد أثنى على الغرانيق في قراءته فلنتعرف على تفسير الآية الكريمة من سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الآية: ٥٢]

١-يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: معنى قوله تمنى في هذه الآية الكريمة للعلماء فيه قولان: أن تمنى بمعنى قرأ وتلا ومنه قول حسان في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

(١) أضواء البيان، ج٥ ص٧٣٠، ٧٣١.

والقول الثاني: أن تمنى في الآية من التمني المعروف وهو تمنيه إسلام أمته وطاعتهم لله ولرسوله، ومفعول ألقى محذوف فعلى أن تمنى بمعنى أحب إيمان أمته وعلق أمله بذلك. فمفعول ألقى يظهر أنه من جنس الوساوس والصد عن دين الله حتى لا يتم للنبي أو للرسول ما تمنى.

ومعنى كون الإلقاء في أمنيته أن الشيطان يلقي وساوسه وشبهه ليصد بها عما تمناه الرسول.[1]

والشيخ يريد أن يقول إن الشيطان كان يلقي بالوساوس في أسماع الناس لكي يصدهم عن تحقيق أمنية رسول الله ﷺ، ومن هذه الوساوس تلك القصة التي أشاعها المشركون على رسول الله بأنه ذكر آلهتهم بخير. وهو منها -براء- عليه الصلاة والسلام.

٢- يوضح ذلك جيداً صاحب كتاب (فتح القدير) فيقول: إن الشيطان أوقع في مسامع المشركين -ذلك- أي تلك الغرانيق العلى إلخ.. من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه. فتكون هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ. أي لا يهولنك ذلك أي -ما أشاعه عنك المشركون- ولا يحزنك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء..

قال ابن عطية: لا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة.. وإن ذلك لن يستمر: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أي يبطله ويجعله ذاهباً غير ثابت، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أي يثبتها، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي كثير العلم والحكمة في كل أقواله وأفعاله.[2]

وبهذا تكون الآية الكريمة بمثابة ترويح ودفع للحزن الذي أصاب رسول الله ﷺ بسبب ما أشاعه القوم عنه، وأنه عليه الصلاة والسلام بريء مما نسب إليه براءة الشمس من اللمس.

---

(١) أضواء البيان، ج٥ ص ٧٢٧، ٧٢٨.

(٢) راجع فتح القدير، ج٣ص٥٢١ - للشوكاني.

ثالثاً: نقد الرواية عقدياً:

فقد أثبت علماء العقيدة في الإسلام -ومعهم علماء الأمة جمعاء- أن وصول الوحي إلى الأنبياء محوط بضمان إلهي يمنع التزايد على النص ويحول دون التدخل الشيطاني في التبليغ.(١)

قال سبحانه وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾(٢) ومن هذه الضمانات عصمته ﷺ من الخطأ والنسيان فيما أخبر به عن ربه.

١- وفي ذلك يقول القاضي عياض في الشفاء: إن الأمة اجتمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الأخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً.(٣)

وما قاله القاضي عياض يفهم أنه لوظن شخص أن الثناء على الغرانيق يمكن أن يكون وقع على لسان النبي ﷺ ولو سهواً أو نسياناً وهما مجوزان على الأنبياء عند البعض. فإن ذلك الظن لا يقبل أبداً؛ لأن السهو والنسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز كما هو مقرر في كتب العقيدة وصدق القاضي في حكمه؛ لأن المسأله مسألة تبليغ، والنبي بلغنا بأن هذه الأصنام مذمومة فكيف يبلغنا بعد ذلك بغير ما هو عليه.

٢- والإمام الرازي له كلام نفيس في هذه المسألة إذ هو يذكر أن الكلام الموحى به إلى الرسول ﷺ والمبلغ منه إلى الناس محوط بمعجزة تبين للرسول أن الذي بلغه ملك

---

(١) في نور العقيدة الإسلامية، ص١٨ - د/ سيد أحمد المسير ج١. وزارة الأوقاف المصرية.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦-٢٨.

(٣) نقلاً عن فتح القدير، ص٥٢٠.

معصوم لا شيطان مضل، والملك نفسه إذا سمع كلام الله فلابد له من معجزة تدل على أن ذلك الكلام كلام الله تعالى، فإذا أوصل الرسول هذا الكلام إلى الأمة لابد أن يؤكد على صدق ذلك بمعجزة، فثبت أن التكليف لا يتوجه إلى الخلق إلا بعد وقوع هذه المراتب الثلاث.[1]

فأمر الموحى به إذن محكم وفيه تيقن من صدق وعصمة المبلغ للمبلَغ.

٣- وعلى نسق (القاضي عياض) و (الرازي) جاء أيضاً كلام للعلامة (أبو بكر بن عربي) -رحمه الله- يؤكد فيه على عصمة النبي ﷺ والضمان الإلهي في مسألة الموحي به وإبطال ما نسب إلى المصطفى -عليه الصلاة والسلام- في هذه القصة.

وفي ذلك يقول: إن النبي ﷺ إذا أرسل الله إليه الملك بوحيه فإنه يخلق فيه العلم به حتى يتحقق أنه رسول من عنده، ولولا ذلك ما صحت الرسالة ولا تبينت النبوة. فإذا خلق الله العلم به تميز عنده من غيره وثبت اليقين واستقام سبيل الدين.

ولوكان النبي إذا شافهه الملك بالوحي لا يدري أملك هو أم إنسان أم صورة مخالفة لهذه الأجناس ألقت عليه كلاماً أو بلغت إليه قولاً لم يصح له أن يقول إنه من عند الله، ولا ثبت عندنا أنه أمر الله، فهذه سبيل متيقنة وحاله متحققة لا بد منها، ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها. ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها أو يشتبه بها ما أمناه على آية ولا عرفنا منه باطلاً من حقيقة، فارتفع بهذا اللبس وصح اليقين.[2]

من خلال هذا العرض الموجز السابق:

يتبين أمامنا أن ما زعمه المستشرقون والمشركون من قبل في قصة الغرانيق وثناء رسول الله ﷺ عليها زعم خاطئ ولا برهان عليه.

---

(١) راجع التفسير الكبير، ج٢٧ ص١٨٩، دار احياء التراث العربي.

(٢) أحكام القرآن، ج٣ ص١٣٠٠-١٠٠٣ .أبو بكر بن العربي. دار المعرفة - بيروت ١٩٧٢م.

١- لأن العلماء المحققون أفادوا بأن الرويات التي حملت هذا الثناء في القصة روايات مشكوك في نقلها وباطلة وإن كان هناك ثبوت فهو لجزء من القصة وهو قراءة سورة النجم وسجوده ﷺ في آخرها وكذا المشركون كما جاء في الصحيح وعند المفسرين ولا وجود لهذا الثناء البتة.

٢-أما ما أشيع فهو من كيد الشيطان ووساوسه لاتباعه جماعة المشركين كما قال المفسرون. أو إن كانت عبارة الثناء قد سمعها المشركون حقاً فهى من تلفظ الشيطان وزيادته في صد الناس عن تحقيق أمنية رسول الله ﷺ في إسلامهم[١] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.[٢]
فيصدقه هؤلاء الأشقياء وهو لهم فتنة ويكذبه العلماء والمؤمنون في كل زمان ومكان.

٣- ومستحيل أن يكون هذا التلفظ من نطق النبي الأكرم -عليه صلوات الله وسلامه- ولو سهواً أو نسياناً لعصمته عن ذلك في التبليغ كما أفاد علماء العقيدة.

وتصديقاً لهذه الإفادة وما سبقها وتكذيباً لافتراءات المستشرقين ومن سبقهم من أتباع الشياطين وإعلاناً للمسلمين أجمع في كل زمان ومكان ليتنبهوا إلى كيد الكائدين نفيد بما يلي: -

أ- أن سورة النجم تلك التي قيل إنها احتوت ثناءً على الغرانيق وآلهة المشركين ها هي بين أيدينا غضة طرية كما نزلت على رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ليس فيها إلا ذماً لآلهة المشركين، وهذا الذم جاء بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل (في اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ونصه كما أوحى به إلى رسول الله ﷺ في السورة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾[٣] وتلك قرينة مانعة من صدق الخبر المزعوم؛ لأنه لا يعقل أن يجتمع

(١) انظر فتح القدير ج٥ ص٧٣٢.
(٢) سورة الحج من الآية: ٥٣.
(٣) سورة النجم الآية: ٢٣.

الذم والمدح في آن واحد، وقد ورد أن المشركين سجدوا مع رسول الله ﷺ وبقية المسلمين، فبالله لو كان هناك مدح ثم تلاه ذم في موضع واحد وموقف واحد وزمان واحد أما كان ذلك يغضب المشركين ويجعلهم يتبادرون بالرد في الحال؟ لكن حالتهم أنهم سجدوا وسجودهم لم يكن لله بل لآلهتهم تعظيماً لها كما سجد الرسول الأكرم تعظيماً لسيده وخالقه سبحانه وتعالى.

فما أكذب القول بأن في السورة ثناء على عقائد المشركين.

ب- إن الشيطان يمكنه بالفعل أن يضلل المشركين عن الصراط المستقيم ولا يمكنه أبداً أن يضلل رسول الله ﷺ فيما أوحى إليه؛ لأنه لا يملك قدرة أو سلطاناً بذلك. بل لا يملك سلطاناً على المؤمنين فكيف بمن دلَّ الناس على اليقين وهو سيد المرسلين عليه من الله الصلاة والتسليم.؟! وهاك آيات كثيرة في الكتاب المجيد تصدق ذلك منها: -

قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1]

وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2]

وقوله عز شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾[3].

فليس إذن في مقدور إبليس وأعوانه من الشياطين أن يخدع النبي الكريم أو يتنزل عليه بقول ما؛ لأن ذلك لا يكون إلا مع الأفاكين وليس الصادق الآمين.

(١) سورة النحل الآيات: ٩٩، ١٠٠.

(٢) سورة الحجر الآية: ٤٢.

(٣) سورة سبأ الآية: ٢١.

قال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾[1]

فهل قرأ الأفاكون المستشرقون أن نبي الإسلام عليه من الله الصلاة والسلام جُرّب عليه الإفك أو الأثم يوماً ما؟

لا يستطيع واحد منهم أن يثبت لنا ذلك في أي كتاب من كتب الدنيا كلها، ومع ذلك تمادوا في الحقد والافتراء.

والخلاصة:-

إن دليل المستشرقين في اقتباس رسول الله لعقيدته الصافية من عقائد المشركين والزعم بأنه متأثر ببيئته استناداً على قصة الغرانيق يكذبه واقع الدليل وآيات الكتاب الحكيم وسيرة سيد المرسلين ـ عليه من الله الصلاة والتسليم ـ في محاربة الشرك بكل صوره.

المبحث الثالث

نقد الفرية القائلة إن العقيدة الإسلامية في الله تم الاقتباس لها من اليهودية والنصرانية

ويتحمل إثم هذه الفرية كثير من المستشرقين وعلى رأسهم (جولد تسيهر) اليهودي المجري و (فنسنك).

أما الأول: فقد ذكرنا قوله الذي أشار فيه إلى أن العقيدة في الإسلام قد تطورت عبر عدة مراحل وأخذت من عدة روافد أجنبية كاليهودية والهلينسية وغيرهما. وأن الإسلام استطاع أن يمتص هذه الآراء الأجنبية ويتمثلها وكأنها جزء أصيل من تعاليمه. ثم جاء قوله: ومع ذلك فإن فكرة محمد عن الله أدنى من فكرة الأديان السابقة- وأولها اليهودية.[2]

(١) سورة الشعراء الآية: ٢٢١-٢٢٢.

(٢) راجع العقيدة والشريعة في الإسلام، ص١٢، ٢٤، ٢٦، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون.

أما الثاني فيقول: إن مفهوم المسلمين للإله يلتقي في نقاط عديدة مع وصف يوحنا الدمشقي وشرحه للذات الإلهية.[1]

وهذا يعني أن النصرانية لها تأثير في العقيدة الإسلامية في الله «لأن محمداً كان منتخباً لتعاليمه من عدة أديان سبقته ومنها النصرانية»[2]

وللرد على الفرية الأولى فيما يتعلق بالاقتباس من اليهودية أقول: -

إن القول الذي ساقه (جولد تسيهر) لهو ضرب من الهلوسة الفكرية التي ألمت بذهن الرجل لما يلي: -

أولاً: إن التاريخ والواقع القرآني يقرران أن الإسلام بعقيدته الصافية قد كمل بنيانه وبلغ تمامه في عهد المصطفى ﷺ والمسلمون مجمعون على رفض أية إضافة تجيء بعده، ويعتبرونها ضلالاً، وكتاب ربنا جل وعلا أكد على هذا الإكمال في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]

فنظرية التطور في العقيدة والإسلام بعد النبي ﷺ أمر غير وارد عندنا جماعة المسلمين؛ لأن هذه العقيدة لم ينشئها بشر، إنما أوحى بها رب البشر، ولا وحي ينزل على أحد بعد رسول الله عليه الصلاة وأتم السلام، فمن ذا الذي يستطيع أن يطور أو يبدل فيما جاء من قبل السماء بعد الرسول الأكرم - صلوات ربي وسلامه عليه.

ثم إن العقل لم يقبل هذا الإكمال؛ لأنه لا يوجد رسل بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) دراسات استشراقية وحضارية، ص١٥٠.

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٤.

(٣) سورة المائدة من: الآية ٣.

ثانياً: أما القول بأن العقيدة الإسلامية أخذت عن اليهودية وأن أشرف الخلق نقل معارفه في الإله عن بني يهود فهو من سقط القول وأكذبه، ومثله كمثل من قال: **إن أساتذة طب الأسنان قد نقلوا معارفهم وعلومهم عن الحلاقين في القرى والنجوع، أو أن أمير الشعراء (أحمد شوقي) سرق أشعاره من مؤلفي الأغاني الهابطة في الأسواق.**

والحق أن الأساتذة ليسوا في حاجة إلى نقل معارفهم عن الحلاقين وأن أمراء الشعر لا يسرقون أشعارهم من الزجالين، وأن محمداً ﷺ الذي قدم للعالم أنفس العقائد والشرائع في أرقى أسلوب وأنصع بيان ليس في حاجة إلى الاقتباس لعقيدته الغراء عن اليهود المنحرفين للأسباب التالية:-

١- أن هؤلاء خلقوا لأنفسهم عقيدة بعد موسى عليه السلام- تصور الإله في التوراة بـ(يهوه) [١] وهو كما يقول الأستاذ نذير حمدان: تصور خاص يتعلق باليهود وحدهم وليس له صفة العموم والشمول[٢] فهو إلههم فقط لا إله العالمين[٣].

بينما الإسلام يعرف اسم الله إله الجميع، وإله العالمين لا يهوه الذي تخيله اليهود إلهاً لهم فأين دليل الاقتباس هنا؟.

٢- كما تصوره ـ عز وجل ـ في أول سفر يُصدّر به العهد القديم وهو سفر التكوين بأنه إله مرهق متعب لا حول له ولا قوة «وكان صباح يومٍ سادس - كملت السموات والأرض، وفرغ الله في اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل ...»[١]

---

(١) معنى يهوه الكائن الذي يكون- وهذا الاسم لم يعرف للإله عند الأنبياء قبل موسى. انظر: عقيدة اليهود في الله والأنبياء، ص١١٢ سعد عابد توفيق الهاشمي.

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص٣٤ - نذير حمدان.

(٣) عقيدة اليهود في الله والأنبياء، ص١١٢.

(٤) سفر التكوين إصحاح ١/من فقرة ٣١/إلخ.

بينما تخبر العقيدة الإسلامية -عنه جل شأنه- بأنه خالق بالفعل للسموات والأرض وما بينهما لكنه صاحب قدرة وعزة وجبروت ولا يقع عليه التعب ولا يصيبه الإرهاق كما ظن صاحب هذا السفر. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[1].

قال المفسرون: أي وما مسنا من إعياء أو تعب أو نصب[2]، ومن ثم فالمفارقة بين العقيدتين هنا واضحة وجلية، ولا يوجد أي برهان على الاقتباس.

بيد أن (جولد تسيهر) يعترض على ذلك ويشير إلى أن خبر الخلق في ستة أيام اقتبسه محمد من اليهودية، ونص عليه في هذه الآية وغيرها، إلا أنه تعمد التحريف بعد ذلك فلم يخبر بأن الله استراح وهذا نص قوله: «ومع تسليم محمد بأن الله خلق العالم في ستة أيام أي -كما قال سفر التكوين- فإنه رفض عامداً فكرة أن الله استراح في اليوم السابع ولذلك لم يجعل يوم الجمعة يوم راحة»[3]

أي كان ينبغي على نبينا -عليه الصلاة والسلام- أن يسير في ركب كتاب التوراة -السكارى- ويوجب على نفسه الإيمان بهذا الإله المتعب المرهق حتى يتم التقليد وفق تصور ذهن هذا المستشرق المضطرب.[4]

ونسي هذا الرجل أن الذي أخبر عن ذاته بأنه منزه عن أوهام اليهود هو خالق السموات والأرض نفسه، وليس هذا من اختلاق محمد وتعمده كما يظن هذا المخمور، بل هو تنزيل من رب العالمين على قلب خير الناس أجمعين، وما كان ذلك إلا لكي يكشف جزءاً من عورات العقيدة اليهودية -بعد موسى عليه السلام- في الله عز وجل وما أكثر هذه العورات في بطون كتبهم ومنها أيضاً:

---

(١) سورة ق الآية: ٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٢٩.

(٣) العقيدة والشريعة، ص٢٦.

(٤) دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٣٢ الشيخ محمد الغزالي - نهضة مصر.

٣- تصويره جلا وعلا بأنه إله طائش حين يغضب وصفه بذلك التلمود.[١] قائلاً: «حينما يغضب الرب يفعل أفعالاً لا قيمة لها ولا وزناً»[٢] بينما تخبر العقيدة الإسلامية بأنه سبحانة عليم حليم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[٣]

كما تصفه جل شأنه بأنه صاحب العفو والمغفرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٤] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[٥]

ومن كان كذلك لا يوصف بالغضب الموصوف بالطيش كسكارى الشوارع والحارات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٤- كما تصوره العقيدة اليهودية -سبحانه وتعالى- بأنه إله كسلان ينام كثيراً ويستيقظ كالمخمور -إي وربي- هكذا يقول المزمور: «فاستيقظ الرب كنائم جبار معيط من الخمر»[٦]

وفي المقابل تطهر العقيدة الإسلامية أذهان الخلائق من هذا التلوث العقدي اليهودي وتقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾[٧] أي لا معبود بحق إلا هو؛ لأنه قيوم أي قائم على كل نفس بما كسبت، يدبر الخلق ويحفظه، وطالما هو كذلك لا تأخذه مجرد سنة وهي مقدمة النوم، ومن باب أولى لا ينطبق عليه النوم[٨]، فهذا يكون للمخلوق الضعيف فما بالك بالقادر المقتدر الذي: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾.

---

(١) التلمود هو أحد كتب اليهود المقدسة، وأصل الكلمة لامود وهي التعاليم، ومعناه الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية الشفوية التي يزعمون أن موسى تلقاها على الجبل، وبهذا الكتاب تفسيرات وشروح للعقائد اليهودية في الله قام بها حاخامات اليهود في كل من بابل وفلسطين - راجع الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص ١١-١٣. د/ محمد عبد الله الشرقاوي - مكتبة الوعي الإسلامي. القاهرة.

(٢) التلمود، ص١١٢ زهدي الفاتح - دار النفائس -بيروت.

(٣) سورة النساء من الآية: ١٢.

(٤) سورة النساء من الآية: ٤٣.

(٥) سورة الرعد من الآية: ٨.

(٦) مزمور ٧٨/٦٥.

(٧) سورة البقرة من الآية: ٢٥٥.

(٨) للمزيد راجع تفسير فتح القدير للشوكاني، ج١ ص٢٩٨، ٢٩٩.

٥- وفضلاً عما تقدم فإن عقيدة هؤلاء اليهود تتمادى في افتراءاتها على الحي القيوم الذي له ملك السموات والأرض فتقول: -تعالى عما يفترون علواً كبيراً- بأن هذا الإله كثير البكاء والدمع كثير الانكماش.

نص على ذلك التلمود:

«منذ تدمير الله لهيكل سليمان لم ينقطع عن البكاء والندم؛ لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة وهو يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً يصرخ كالأسد ويقول: الويل لي تركت بيتي ينهب وهيلكي يحرق وأولادي يشتتون... وكل يوم يذرف دمعتين في البحر على تركه بني إسرائيل تسمع من أقصى العالم... وتسبب فرقعة شديدة وتنزل قوتها الهزات الأرضية»[1] الخ

وهنا يكاد العقل يقف عن التفكير والقلم عن التسطير، ويتساءل المرء بكل عجب هل معقول أن يكون هذا الإله هو إله العالمين الذي يلجأ إليه المرء في البأساء والضراء وحين البأس ويفزع إليه المكروب ويطلب منه صاحب الحاجة كشف البلاء؟

لا يمكن أبداً أن يكون هذا الإله هو إله العالمين، بل إله خلقته مخيلة اليهود الذي قال عنها (جولد تسيهر) إن محمداً ﷺ قد اقتبس عقيدته منها وغاصت هذه المخيلة أكثر وأكثر في الأقوال عن رب الأكوان كان من أغربها فضلاً عما تقدم.

٦- دخول هذا الرب الذي تخيلوه في حلبة ملاكمة مع يعقوب -عليه السلام- وتغلب يعقوب عليه واعتراف الرب بهزيمته أمام يعقوب وإقراره له بعد ذلك بالمباركة، وقد ذكر ذلك سفر التكوين:

(١) التلمود، ص١١٢ زهدي فاتح.

وقال الرب ليعقوب وهو يصارعة طوال الليل

«اطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ قال يعقوب فقال... بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وباركه...هناك».[1]

أي بعد أن قبض يعقوب على الإله طلب منه العفو فلم يفعل في البداية ولما أطلقه وعفا عنه أعطاه لقب إسرائيل وسمته التوراة بعد ذلك بمصارع الرب والمنتصر على الرب، لكن باليقين ليس هذا الرب ربي ورب الناس أجمعين، بل رب من الأرباب التي قال فيها القائل لما رأى ثعلبًا يبول على حَجَرٍ يُعبد من دون الله قال:

رب يبول الثعلبان برأســـــــــه وقد ذل مـن بالت عليه الثعـالبُ

فلو كـان رباً كان يمنـع نفســـــه فلا خير فـي رب دَهَتهُ المصائب

برئت من الأصنـام فـــي الأرض كلها وآمنت بالله الذي هو غالب

من هذا القبيل كان رب اليهود المزعوم، بينما الرب الذي تدعو العقيدة الإسلامية إلى توحيده وعبادته بحق هو الله الذي هو غالب.

تلك هي بعض نقاط المقارنة بين العقيدة الإسلامية في الله جل وعلا وبين العقيدة اليهودية التي زعم هذا المستشرق أنها أصل للأولى والأولى فرع عنها.

ثالثاً: بقيت نقطة أخيرة:

وتتمثل في أن هذا المستشرق بعدما افترى فريته زاد في غيه وافتراءاته فزعم أن عقيدتنا الغراء في الله بالرغم من أنها قد استمدت من الأديان السابقة فقد كانت أقل درجة في معرفة الله عما تعرفه هذه الأديان.

وهذا نص قوله: «إن فكرة محمد عن الله كانت أدني من فكرة الأديان السابقة»[1]

(١) سفر التكوين، إصحاح ٣٢/فقرات من ٣٦: ٢٩.

(٢) العقيدة والشريعة ص٢٩.

ونظن أن الأمر كان كذلك في ذهن هذا الرجل ؛ لأن محمداً -عليه الصلاة والسلام- في عقيدته لم يقلد اليهود في تصويرهم السابق -لله عز وجل- فلو حكم محمد بأن الإله الخالق إله عاجز ومتعب وهو طائش حين يغضب، أو صوره على مسرح الملاكمة مع يعقوب المنتصر، لو صوره كذلك -لا نتظرنا من هذا المستشرق أن يقول عكس ما قاله تماماً- أما وأن محمداً يصف ربه بالقوة والحكمة والعدل وعدم مماثلته -جل وعلا- لأحد من الخلائق. ويقر بأن كل ما في الكون من إنسان وجان وجماد وحيوان وماء وشجر الجميع له ساجد والكل له مسبح وحامد.

فالطيـــر سـبحـه والوحـــش مجـده
والمـــوج كـــبره والحـــوت نـــاجـــاه
والنمـل تحـت الـصـخـور الـصـم قـدسـه
والـنـحـل يـهـتـف حمـداًفي خـلايـاه
والـنـاس يـعـصـونـه جـهـراً فيسترهـــم
والـعـبـد ينـسـي وربـي لـيـس ينـسـاه

أيوجه محمد ﷺ الخلائق إلى هذا الاعتقاد الجديد والتصور البعيد عن التصور اليهودي وننتظر من هذا الرجل وأمثاله أن يثني على عقيدة محمد ﷺ ولا يتهمها بالانحطاط والسرقة؟!

إننا نسوق له في النهاية ما قاله مستشرق مثله، لكن بعد تفكر وتدبر في عقيدة الإسلام ومدى ملاءمتها للفطرة السليمة هداه الله لهذه العقيدة الغراء وأعلن إسلامه إنه المستشرق (هنري دي كاستري) الذي يقول: لا إله إلا الله، ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد صمد منزه عن النقائص... ويستحيل أن يكون هذا الاعتقاد قد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته للتوراة والإنجيل، لأن ما فيهما مناقض لفطرته ومخالف لوجدانه[1] كما يقول (سورديال) أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال: الله واحد أزلي

(١) قالوا عن الإسلام ص ١٢٧ د/عماد الدين خليل. الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ليس كمثله شيء قادر على كل شيء... وهذا الإيمان للإله الواحد هو ما يميز دين المسلمين عن الديانات الأخرى تميزاً جذرياً.[1]

فهل يعي هذا المجنون هذا القول ويعلم أن عقيدة الإسلام في الله عقيدة مستقلة جاءت بوحي السماء، وما كان كذلك فهو أعلى درجة من تلك العقائد التي اختلقتها مخيلة أبناء الأفاعي، تجاه الواحد القهار.

٢- أما الرد على الفرية الثانية:

فيما يتعلق بالاقتباس من النصرانية والتي زعم فيها (فنسنك) ومن سار على نهجه من المستشرقين[2] بأن العقيدة النصرانية كان لها أثر في العقيدة الإسلامية، وأن مفهوم الإله عند المسلمين يلتقي مع وصف يوحنا الدمشقي وشرحه للذات الإلهية.

أقول:

أ- تلك الفرية أكذب من أختها، ولا يوجد مع صاحبها أي دليل يؤكد تحققها تماماً كما ادعى (جولد تسيهر) من قبل، ويكفي أن يعلم كل ذي بصيرة أن عقيدة قائمة على توحيد الإله توحيداً خالصاً لا يمكن أن تقتبس أو تتأثر بعقيدة تقسم الإله إلى أجزاء ثلاثة. كل جزء منها يطل عليك برأس يخالف الآخر.

فهذه رأس أب وتلك رأس ابن والثالث رأس روح قدوس، والغريب أن الثلاثة رؤوس رأس واحدة بالله كيف يكون ذلك كذلك وكيف يقبل العقل قبول ذلك وأي عقيدة تلك التي توجد عند النصارى حتى يقتبس منها محمد ﷺ ما هذا التهريج؟! وهل ثبت أن محمداً قال بمثل ما يقولون، أما يستحي هذا

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٩.

(٢) سار على نفسه في ذلك بروكلمان وهنري ماسيه وغيرهما. راجع دراسات استشراقية وحضارية، ص١٥٦، ١٥٧.

المستشرق الأثيم ومن سار على نهجه من احتضان عقيدة كتلك؟ أما كان ينبغي له وأمثاله أن يدفنوا رؤوسهم في الرمال بدلاً من أن يطلقوا أقوالاً ضد عقيدة غراء تنزه الإله عن كل نقص وتبعده عن كل مماثلة له مع الخلائق؟!

ويكفي أن نرد على (فنسنك) وأمثاله بما قاله مستشرقون كانوا في بُعد عن الإسلام فهداهم الله لنور اليقين واعتنقوا عقيدته الصافية وقارنوا بينها وبين العقيدة النصرانية القائمة فوجدوا المفارقة بينةً، وأن لا أثر في عقيدة الإسلام لغير وحي السماء.

١- ومن هؤلاء ناجيمو راموني Najimu ramoni [١]

الذي قال: «لم يكن لي خيار من المقارنة بين توحيد الله في التصور القرآني وبين اعتقادي في الثالوث كمسيحي فوجدت أن المبدأ الأخير أدنى بكثير من المبدأ الإسلامي.. ومن هنا بدأت أفقد الثقة في الديانة المسيحية على اعتبار أن الإيمان بالله هو أول وأهم مبدأ في أي دين من الأديان، فإذا كان إيماني به خاطئاً... فمعنى ذلك أن كل نشاط آخر يصبح عبثاً لا جدوى منه ولا معنى». [٢]

وصدق راموني فيما قال؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل والعقيدة النصرانية أخطأت في أول ركن من أركان الإيمان وهو قولها بوحدانية مركبة من أقانيم ثلاثة. ولو عمل أصحابها بعد هذا الخطأ كل خير في الدنيا لن يقبل منهم وهم في الآخرة من الخاسرين.

---

(١) من غانا بإفريقية الغربية، ولد لأبوين مسيحيين عضوين في كنيسة البعثة المعمدانية، وتلقى تعليمه في المدارس التبشيرية، ولما بلغ العشرين بدأ مهمته كمبشر متحمس، لكن أحد أصدقائه أهداه يوماً ما كتاباً عن الإسلام، فاهتزت قناعته بالنصرانية أمام صدق الإسلام في طريق البحث عن الحق حتى أعلن في النهاية إسلامة في خريف عام١٩٦٣.

(٢) قالوا عن الإسلام، ص١٨١ د/عماد الدين خليل.

بينما العقيدة الإسلامية صححت مسار الإيمان من أول خطوة، وأخذت بيد البشرية إلى عبادة إله قادر مقتدر حياته لا كحياة المخلوقات، وقدرته تباين كل الكائنات، وشتان بين العقيدة هنا والعقيدة هناك.

٢- ويقول أيضاً بيجي رودريك Peggy Raderik [١]

(لم يمض وقت طويل حتى أيقنت أن هذا الدين -الإسلام- هو الدين الحق بالمقارنة بكافة الأديان الأخرى، كما أيقنت أن الاعتقاد الإسلامي بواحدانية الله... أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً إذ أن فطرتي استساغت الإيمان بالله الواحد).[٢]

ورودريك بهذا يضرب على يد كل قائل بأن النصرانية المثلثة ذات أثر في التوحيد الإسلامي.

٣- أما «الفونس إتين دينيه»[٣] والذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه ناصر الدين دينيه فإنه يعقد موازنة بين العقيدة الإسلامية في الله والعقيدة النصرانية ليبين الفروق الجوهرية بين العقيدتين وليعلم الجميع مدى كذب وافتراء «فنسنك» ورفقائه.

وفي ذلك يقول «دينيه»:

الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلاً بشرياً... أما في المسيحية فإن لفظ [الله] تحوطه تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال، فمن تجاعيد في الوجه غائرة إلى لحية بيضاء مرسلة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء.

---

(١) هندي الأصل، نشأ في ظل الاستعمار البريطاني للهند، وكان نصرانياً تلقى تعليمه على يد المبشرين الذين كانوا منتشرين في شبه القارة الهندية إلا أنه اقتنع بالإسلام وأعلن اعتناقه له في منتصف الأربعينيات.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ج٦ /١١٢، ١١٣ نقلاً عن المصدر السابق ص١٨٣.

(٣) ترجمنا له من قبل.

ونسمع القوم يصيحون -ليحيا الله- فلا نرى للغرابة محلاً ولا نعجب لصيحتهم وهم ينظرون إلى رمز الأبدية الدائم وقد تمثل أمامهم شيخاً هرماً قد بلغ أرذل العمر، فكيف لا يخشون عليه من الهلاك وكيف لا يطلبون له الحياة؟

كذلك (ياهوه) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة وكذلك نراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة.

أما (الله) في دين الإسلام الذي حدث عنه القرآن فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته أو ينحته إزميل.

ذلك لأن (الله) لم يخلق الخلق على صورته سبحانه وتعالى فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يكن له كفواً أحد.[1]

وبهذه الأقوال تبين أمامنا أن ما ذهب إليه «فنسنك» ومن معه لا يمت إلى الحقيقة بصلة.

ب- أما ما ذهب إليه هذا الفنسنك من أن مفهوم الإله عند المسلمين يلتقي مع شرح (يوحنا الدمشقي) للذات الإلهية.

فإننا نقول له: إن يوحنا هذا كان إذا ما تحدث عن الإله يقول: وبأعين الله وجفونه..

وبآذانه وسمعه نفهم مغفرته وسماعه لأصواتنا... وفمه وكلامه يدلان على إرادته.. ثم يقول وهو وحده الأزلي ولا يعرفه أحد ولا يتناهى وهو يتأمل في ذاته»[2]

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام ص ٢٥، ٢٦ترجمة الأستاذ/راشد رستم. سلسلة الثقافة الإسلامية ١٣٧٩هـ.

(٢) نقلاً عن دراسات استشراقية ص١٥٠، ١٥١.

هذه هي بعض أقواله التي يزعم (فنسنك) أن لها أثراً في عقيدتنا الإسلامية، وهي في الحق لا تنسجم أبداً مع عقيدتنا في الله عز وجل لما يلي: -

أولاً: لفظ الجفون والأذن والفم لم يرد عنهم شيء في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ ونحن لا نأخذ بشيء خاصة في المجال العقدي إلا من خلال هذين المصدرين.

ثانياً: قوله «ولا يعرفه أحد» قول قد ينطبق على النصارى الذين لا يمكن أن يعرفوا حقيقة معتقدهم في الله، فهناك آمن ولا تتكلم -أي بدون أي تفكر لما يلقى عليك من مفاهيم تجاه الأب والابن والروح القدس.

أما في الإسلام فمعرفة الله أساس في العقيدة الإسلامية ويتفاضل المسلمون تبعاً لمعرفتهم بالله وتعظيمهم لأمره تعالى وطاعته.

وهذه المعرفة تنبع من القرآن الكريم والسنة الصحيحة اللذين تحدثا عن الله تعالى وعلاقته بالكون والإنسان، كما تنبع من آثار خلق الله الدالة على قدرته وبديع صنعه في الكون.

وأكمل البشرية معرفة بالله تعالى هم رسل الله وأنبياؤه ثم العلماء.[1]

ثالثاً: أما وصفه بأنه (يتأمل في ذاته) فهو أيضاً لم يرد في العقيدة الإسلامية لأنه لم يقم عليه دليل شرعي.

بل هو لفظ فلسفي وجد عند أصحاب الأفلوطنية القديمة في نظرية الفيض والعقول العشرة، والقائلة بأن الله يتأمل في ذاته فيفيض عنه العقل الأول وعن العقل الأول جاء العقل الثاني إلى العقل العاشر، وكل عقل كان يتأمل في ذاته فيفيض عنه ما بعده الخ.[2]

---

(١) راجع المصدر السابق ص١٥١.

(٢) لمعرفة هذه النظرية بتفصيل راجع الجانب الإلهي د/ محمد البهي والتأويل الباطني الإسماعيلي د/ عبد العزيز سيف النصر.

ومعلوم أن المسيحية تأثرت بالفلسفات الأرضية في عقيدة الثالوث والصلب والقيامة.[1]

أما العقيدة الإسلامية فما زالت غضة طرية لم يمسسها سوء ولم يلحق بها فكر وثني ولن يكون بإذن الله.

المبحث الرابع

نقد الافتراءات الاستشراقية في قضية الإسماء والصفات الإلهية والرد عليها

قد أشرنا من قبل إلى أن قضية الأسماء والصفات الإلهية والتي حدثنا عنها كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وآمن بها سلف الأمة بدون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل لم تخل هذه القضية من افتراءات المستشرقين أيضاً. ومما ذكروه :-

١- الإدعاء بأن لوازم السجع حملت محمداً ﷺ على وصف الله تعالى بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن وهى عبارات مبعثرة ومتناقضة وفيها دلالة على التجسم - جاء ذلك في دائرة المعارف الإسلامية.[2]

وللرد على هذه الفرية أقوال :

أ- إن المثل القديم يقول -من فمك أدينك- وأصحاب دائرة المعارف قالوا بعد هذا القول بعدة أسطر «وتبين شغف محمد بهذه الصفات وشدة تمسكه بها»[3]

ومعلوم أن ما يأتي به المتكلم لضرورة السجع لا يكون شديد التمسك به ولا مشغوفاً به ؛ لأنه ما كان يريد أن يأتي به وما حمله عليه إلا لوازم السجع.

وقد ذكر الأستاذ (جاد المولى) في تعليقه -الموفق- على هذه الفرية مثالاً جاء فيه : - إن ثلاثة من الأدباء جلسوا يتسامرون فقال أحدهم شطر بيت وطلب من الآخرين أن يجيزاه وهو :

(١) راجع مبحث المصادر النصرانية في كتاب المسيحية بين التوحيد والتثليث د/ عبد المنعم فؤاد.
(٢) ج٢ ص ٦٥١.
(٣) ج٢ ص ٦٥١.

نلنا لذيذ العيش في طرباشا

فقال الثاني: فيها احتثثنا القدح احتثاثا.

وأرتج على الأخير فلم يزد عليه إلا قوله:

وأم عمرو طالق ثلاثاً

وأم عمرو زوجته، فلما علمت بطلاقها قالت: ما ذنبي عندك؟ قال: ما بي أن أطلقك إنما جئت في طريق القافية.[1]

إذن صاحب السجع قد يحمل على الكلام حملاً وبعد ذلك لا يتمسك به إذ إن زوج أم عمرو أسف على ما بدر منه ولم يقصد طلاق زوجته، لكن القافية حملته على ذلك بدون قصد.

ونبينا ﷺ كان متمسكاً بكل كلمة يقولها، وكان يقول لأصحابه إن هذا الفم لا ينطق إلا حقاً. وأصحاب الدائرة أقروا بذلك.

ثم إن أهل قريش وهم في عهد المصطفى كانوا أعلم الناس بقواعد السجع وأنواعه، وبالبلاغة وطبقاتها، وهؤلاء نظروا في فواصل القرآن وسمعوا آياته فوجدوه في أعلى طبقات البلاغة والبيان، ولم يقروا بأن ذلك من سجع الكهان الذي يمكن أن يفسد معاني الألفاظ، وشهد بذلك الوليد بن المغيرة الذي كان آنذاك قمة من قمم الكفر في مكة قال: «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه».[2]

ولم يكن محمد يقول السجع ولا بالساقط من القول، فهل يعلم كُتّاب دائرة المعارف الأعاجم اللسان العربي أكثر من أهله، وهل يحق لهم أن يقولوا عن

(١) هامش دائرة المعارف ج٢ ص٥٦٤، ٥٦٥.

(٢) للمزيد راجع تفسير ابن كثير ج٤ ص٩١.

الصفات التي أوردها الإسلام قولاً جزافاً بلا سند ولا برهان وهم الذين يدعون الموضوعية في أقوالهم .

ب- أما قولهم إنها مبعثرة وقد دلت على التجسيم. فهو قول غير صائب ؛ لأن من يتأمل كتاب الله يجده قد نزه المولى جل وعلا عن مشابهة الحوادث وإن وردت ألفاظ اليد وما شابهها فإن المؤمن يعتقد بصدق الخبر تحت إطار: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] فالله له يد كما أخبر ولا تشابه المخلوقات ؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء وهكذا... إلخ فأين التجسيم في ذلك.؟

٢- التخيل ومماثلة الشعراء:

ومما ذكرته دائرة المعارف أيضاً على لسان (ماكدونالد) ـ وأشرنا إليه من قبل ـ الزعم بأن النبي ﷺ استطاع بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينه مثل: الأول والأخير..الخ.

وهكذا كان بعض شعراء العرب من قبل قد أظهروا قدرة في استعمال الصفات.[3]

وللرد أقول:-

أ- إن الحديث عن صفات الله ـ عز وجل ـ أمر لا يمكن أن يتوقف على التوهم والخيال وإلا لصارت الأمور لا ضابط لها ومن حق كل شخص أن يتخيل ما شاء.

ونبينا ﷺ بعيد عن كل ذلك ؛ لأنه مؤسس عقيدة وبان لفكر أمة ومتحدث عن ربه، وكل حديث يتحدثه وخبر يبلغه مشفوع بمعجزة تمنع تواطؤه على الكذب، وهذا هو ما دفع الكثيرين من أهل مكة ومن حولها على تصديقه واتباع عقيدته.

(١) سورة الشورى الآية: ١١.

(٢) ج٢ ص٥٦٢.

وإلى اليوم معجزته قائمة وتحمل معها التحدي للمكذبين، تلك هي معجزة القرآن الكريم، وقد أثبت القرآن أن النبي الأكرم «**ما ينطق عن توهم وما يخبر عن تخيل قال تبارك اسمه:** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾».[1]

فما أخبر به عن أسماء ربه وصفاته خبر نازل على قلبه من قِبل الوحي الأمين.

وتم تأمين الخبر بإبعاد أي شبهة توحي بكذب المصطفى في إخباره عن الله تعالى وذلك عن طريق قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾.[2]

فلا يستطيع محمد عليه الصلاة والسلام أن يتقول على الله بما لم يخبر وإلا لأصيب بهذا الوعيد الشديد، وطالما لم يصب بشيء منه فهو صادق بار راشد مؤيد دائماً بالمعجزات الباهرات.[3]

وعليه فكذب محمد عن الله وتخيله لصفات لم يخبر بها الحق أمر غير وارد في دنيا العقلاء؛ لأن العرب قبل بعثته كانوا ينادونه بالصادق الأمين، وهو كذلك بعد بعثته ﷺ وإلى يوم الدين.

ب- أما الادعاء بأنه كان يسير على نهج الشعراء في التخيلات والصفات فهو ادعاء قديم قدم الكفر، ردده كفار مكة في عهد المصطفى ﷺ ليبعدوا الناس عن الإسلام، واليوم يُكَرِّر المشهد على المسرح الفكري من المستشرقين؛ لأن الغاية مشتركة والأهداف متحدة.

ومما يؤكد صدق ذلك ما رواه الإمام أحمد -رحمه الله- من أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد

---

(١) سورة النجم الآية: ٣، ٤.

(٢) سورة الحاقة الآية: ٤٥، ٤٦.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤١٧.

سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش قال: فقرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ قال فقلت كاهن قال فقرأ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1] قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع.[2]

كما نقل إلينا ابن إسحاق أن قريشاً كانت تعتبر محمداً مثله كمثل واحد من الشعراء أمثال زهير والنابغة وينتظرون موته وهلاكه كهؤلاء.[3]

وعلى ضوء ذلك يتبين أن مستشرقي اليوم قلدوا مشركي الأمس ورددوا مزاعمهم تماماً كا الببغاوات بدون وعي لما يزعمون ولا فهم لما يرددون، وهم الذين يقولون نحن أصحاب البحث المحايد والموضوعية وهم في الحق: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[4] وفضلاً عن ذلك لم يثبت أن هناك شاعرا واحدا قال بصفات تجاه الحق جل وعلا بمثل ما أخبرنا به نبينا عليه الصلاة والسلام، ولم يوجد خبر في الكتب المعتبرة يؤكد لنا صحة ما يردده المستشرقون.

٣- جذور هذه الصفات من وجهة نظر المستشرقين:

ومما يدل على عدم اتزان الفكر الاستشرقي وتخبطه تجاه الصفات الإلهية: أن أصحاب دائرة المعارف ذكروا بعد اتهامهم السابق لرسول الله ﷺ بأنه كان يذكر من الصفات ما يتخيله بعقله.. إلخ.

ومما ذكروه أن بعض هذه الصفات قد ترجع جذورها إلى النصرانية أكثر من غيرها، وأحياناً إلى العبرية، أو أن محمداً ﷺ اقتبس بعضاً منها من جنوبي بلاد العرب.

---

(١) سورة الحاقة الآيات: ٣٩: ٤٢.

(٢) نقلاً عن تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤١٧.

(٣) نفسه ج٤ ص٢٤٣.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٨.

أ- أما عن الأخذ عن النصرانية: فقد جاء فيها: «ومن صفاته تعالى كذلك صفة البر» (سورة الطور الآية ٢٨) ونور السموات والأرض (سورة النور آية ٣٥).

ويظهر من سياق الكلام أنه يشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم، وعلى هذا تكون الصورة الوصفية التي وردت في الآيات مأخوذة من صورة المذبح المضاء.

وتذكرنا هذه الآيات أيضاً بعبارة (نور العالم) التي وردت في الإنجيل، ونور الأنوار التي جاءت في العقيدة النيقية.[1]

وللرد على هذه الفرية أقول:-

إن رد هذه الصفات والأسماء المباركة إلى جذور نصرانية لا تؤيده سيرة المصطفى ﷺ التي لم يثبت في أي زاوية من تاريخها أنه دخل كنيسة أو ديراً من أديرة النصارى، أو رأى مذبحاً مضاءً أو مظلماً من مذابحهم، وإذا ثبت ذلك عند المستشرقين فليخبرونا في أي كتاب من كتب الدنيا ثابت ذلك حتى نرجع إليه ونعرف ما لم نكن نعرفه عن نبينا ﷺ.

ثم الادعاء بأنه قد اطلع على الأناجيل أو قرأ عبارة نور الأنوار التي جاءت في العقيدة النيقية هو ادعاء أسخف مما سبقه؛ إذ الذين رأوا النبي ﷺ أو قصوا لنا سيرة حياته شهدوا جميعاً أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، والعرب كانوا متيقنين من ذلك وهذا هو ما بهرهم وأصاب رؤوس بعضهم بالدوار حينما جاءهم بالقرآن الكريم الذي يحمل أرقى أنواع البلاغة والبيان فلم يملكوا إلا التسليم بأنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل، فآمن البعض ونفر الباقون حسداً وحقداً وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

---

(١) ج٢ ص٥٦٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

وهو الثابت الذي لا ريب فيه، ولو فرضنا جدلاً أنه يقرأ -وهو فرض مستحيل- فإن قراءته ستكون وهو ابن البيئة العربية باللغة العربية من غير شك، أما العقيدة النيقية فقد قررها أصحاب مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م بأمر الملك قسطنطين الروماني وادعو فيها ألوهية المسيح[١] وقسطنطين ومن معه آنذاك لم يكونوا في البلاد العربية ولم تكتب عقيدتهم بلغة العرب فكيف اطلع إذن محمد ﷺ على هذه العقيده المكتوبة بلغة غير لغته وفي عصر غير عصره وبلسان غير لسان قومه، أم أن محمداً ﷺ كان منتسباً إلى مدارس لغات في مكة قبل بعثته وعنده بلغة الرومان علم. ونحن لم نعلم بذلك؟

ما هذا الهراء الذي ذهب إليه أصحاب دائرة المعارف؟! أليس ما ادعوه تجنٍ على التاريخ والواقع والحق الإنساني؟

وخلاصة القول هنا:

إن صفة - البر - لا علاقة لها بالنصرانية ولا عقيدتها، بل لها وجود مستقل في العقيدة الإسلامية، ومعنى مفهوم غير غامض كما هو موجود في المصادر الدينية عندهم؛ فالبَرُ عندنا هو كثير الإحسان، وقيل: اللطيف[٢] -ونور السموات والأرض- أي هادي أهل السموات والأرض[٣]، أو مظهر الكون العام ومخرجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود، وهذا شيء معنوي محض ليس من صورة المذبح المضاء ولا ما يوقده النصارى في كنائسهم وأديرتهم كما تخيله أصحاب دائرة المعارف.[٤]

---

(١) راجع محاضرات في النصرانية ص١٢٢ للشيخ محمد أبو زهرة والمسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها للمؤلف ص١٠٠ وتاريخ ابن البطريق ص١٢١.

(٢) فتح القدير، ج٥ ص١١٥ للشوكاني.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٨٩.

(٤) انظر تعليق الأستاذ / محمد عاشور - على هامش الدائرة ج٣ ص٥٨٧.

هذا عن الفرية الأولى

ب- أما عن الاقتباس من العبرية فقالوا:

ومن الواضح أن صفة الباري قد أخذها محمد ﷺ من العبرية واستعملها دون أن يقصد منها معنى خاص.

وللرد على هذه الفرية أقول: -

إذا كان ذلك واضح عندكم فقد وضح عندنا الآن أكثر وأكثر. أنكم أجهل خلق الله بأصول اللغة ومعانيها التي تنتسب إليها عقيدة أهل الإسلام، ونبينا الأكرم ﷺ كان يعلم كل لفظ يوحى إليه ولم يكن في حاجة إلى اللغة العبرية أو غيرها.

ويكفي للرد على جهل هؤلاء بما قالوا إن مراجع اللغة العربية أثبتت أن مادة الكلمة (بارئ) موجودة ولها كثير من المشتقات.

فهي من برأ الله الخلق بَرءاً وبَروءاً أي خلقهم[1].

ومنها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[2] أي شر الخليقة التي برأها الله وذرأها[3] (وبرئ) المريض بَرءاً وبُرءاً أي شفي وتخلص مما به، وبَرَّأه من كذا أبرأه من العيب أو الذنب أو التهمة أي قضى ببراءته.

وصدق على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾[4].

وعلى ضوء ذلك فمادة الكلمة موجودة في لغة العرب ولها اشتقاقتها المتنوعة ومعانيها المعلومة.[5]

---

(١) المعجم الوسيط ج١ ص٤٦ .

(٢) سورة البينة من الآية: ٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٥٣٨.

(٤) سورة الأحزاب من الآية ٦٩.

(٥) راجع المعجم الوسيط، ج١ ص٤٦، والقاموس المحيط ص٤٤٤.

والقرآن الكريم أكد على هذا الوجود في أكثر من آية كما رأينا، فالزعم أن المعنى مأخوذ من العبرية فاسد ولا دليل عليه.

ج- وأما عن الأخذ من جنوب بلاد العرب فقالوا:

وأما صفتي الرحمن الرحيم فتظهر أن محمداً قد أخذ هذه الصيغة من جنوبي بلاد العرب.[1]

وللرد على هذه الفرية أقول:

إن هاتين الصفتين هما شعار الإسلام إذا ما أضيفتا إلى لفظ الجلاله(الله) وبهما ابتدأت كل سورة في كتاب الله عز وجل[2] وكل عمل يومي يقوم به المسلم من الواجب أن يبدأه ببسم الله الرحمن الرحيم؛ ففي ذلك أفضلية معلومة، ولقد أوحى بهما إلى النبي ﷺ لما في ذلك من إدخال الطمأنية على قلب المسلم إذا ما علم أن ربه وخالقه رحمن رحيم في الدينا والآخرة.

وليس هنا أي برهان عند المستشرقين على أن النبي ﷺ قد أخذ هاتين الصفتين عن أحد من بلاد العرب اللهم إلا إذا كان ظنهم قائم على ما أطلقه أتباع مسيلمة الكذاب علية بأنه رحمن اليمامة . حين ادعى النبوة.[3]

ولقد فطن إلى ذلك الأستاذ (محمد حامد الفقي) وهو يرد على هذا الزعم في هامش الموسوعة فقال: «الذي يفهم من كلام هؤلاء أنهم يريدون التقرير بأن

---

(١) دائرة المعارف ج٢ ص٥٦٥، ٥٦٦.

(٢) باستثناء سورة التوبة لأنها نزلت تنقض العهد بين النبي) والمشركين وقيل لأن في البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف، وقيل غير ذلك. راجع فتح القدير ج٢ ص٣٧٨.

(٣) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ولد باليمامة في قرية تسمى (الجبيلة) بقرب العيينة بوادي حنيفة ببلاد نجد، قدم مع وفد إلى رسول الله) وبعد رجوعه إلى اليمامة ارتد وتنبأ وتكذب لقومه وقال إني أشُركت في الأمر مع محمد ﷺ وكان مؤذنه عبد الله بن النواحة يقيم له الصلاة ويقول أثناء الإقامة أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله، قتل سنة ١١هـ. انظر: عقيدة خاتم النبوة - أحمد بن سعد الغامدي. دار طيبة ١٤٠٥هـ.

البسملة كلها اقتبست من جنوبي الجزيرة -يعني اليمن- وهذا خطأ ظاهر ولا دليل عليه أصلاً، والذي أوجب عندهم ذلك أنهم رأوا في بعض النقول أن أهل اليمامة أطلقوا لفظ (رحمان) على المتنبئ الكاذب مسيلمة فقالوا (رحمان اليمامة)... ولكن هذه الشبهة ضعيفة، لأن مسيلمة ادعى النبوة في أواخر حياة النبيﷺ فأراد أتباعه تعظيمه بهذا الوصف (رحمان) غلواً في الكفر.

وعلى ذلك فقد أخذوا هم هذا الوصف عن القرآن الكريم ولم يثبت سماع هذه الكلمة قبل ورودها في القرآن».[1]

وبهذا يتضح أمامنا أن الكذّاب ليس مسيلمة فقط بل أتباعه في العصر الحديث وهم من يدعون على النبي ﷺ بأنه مدان لغيره في هاتين الصفتين، إذ تبين أن غيره هو المدان له كما اتضح من كلام الشيخ (الفقي) فهل يعي المستشرقون أتباع مسيلمة ذلك أم سيظلون في غيهم يعمهون؟

هذا هو ما يتوقع منهم كما سنرى في السطور التالية:

٤- الرد على مقولات المستشرقين في بعض الصفات الإلهية الأخرى:

سبق أن أشرنا إلى أن افتراءات المستشرقين لم تتوقف عند الصفات السابقة بل تطرقت إلى صفات أخرى تكشف عنها المقولات التالية: -

١- المقولة الأولى مضمونها:

إن هناك بعض الصفات التي أطلقت على ذات الله في الإسلام تدل على الذم والنقص إذا ما أطلقت على غيره من الأفراد مثل: المتكبر والجبار إلخ .. فكيف يطلقها محمد على الله تعالى؟[2]

---

(١) انظر هامش دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٦٦.

(٢) راجع ذلك في ج٢، ص٥٦٢-٥٦٤ دائرة المعارف الإسلامية.

وللرد على هذه الفرية أقول: -

إن ما ذكرتموه قصور في الفهم ودليل على عمى البصيرة، لأن محمداً ﷺ عرَّف بربه خير معرفة وبين أنه لا مثيل له بين مخلوقاته إذ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]

وعلماء الإسلام شرحوا ذلك للأمة خير شرح وسطروه في كتبهم بأوضح تعبير ومن هؤلاء الشيخ (ابن تيمية)[2] -رحمه الله- الذي قال: إن الله سمى نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره.

وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلاً عن أن يتحذ مسماهما عند الإضافة والتخصيص.[3]

ثم يقول -رحمه الله- وإنه ينظر إلى المستقبل البعيد بنور الإيمان ليرد على هؤلاء المغالطين من المستشرقين الذين ابتلي بهم الفكر الإنساني المعاصر.

وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[4]

---

(١) سورة الشورى، من الآية ١١.

(٢) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي، وتيمية هي والدة جده الأعلى (محمد)، وكانت واعظة راوية ونسب هذا البيت الكريم إليها، ولد في حران بالعراق سنة٦٦١هـ، ثم ذهب إلى دمشق مع أسرته بعد مهاجمة التتار للعراق وتوفي بها سنة ٧٢٨هـ.
انظر: مقدمة الرسالة التدمرية.

(٣) الرسالة التدمرية مجمل اعتقاد السلف، ص١٤ شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الرابعة.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣٥.

وليس الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر[1]، ومن قال بالتساوي والمماثلة كان مشبهاً وممثلاً الله بالمخلوقات فلابد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.[2]

ويفهم من ذلك أن صفتي الجبار والمتكبر اللتين هما في الأفراد ذم ونقص لهما معان تليق بجلال الخالق وعظمته ولا توجد هذه المعاني للأفراد المخلوقين لفقد المماثلة والمشابهة بين الخالق والمخلوق، وإلى هذه المعاني أشار علماء التفسير فقالوا: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي الذي لاتليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته لما جاء في الصحيح «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبته»

أو الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء ..

أو المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم[3] والمتكبر أي الذي تكبر عن كل نقص وتعظم عما يليق به، أو الذي تكبر عن كل سوء وظلم لعباده.[4]

وقيل الذي لا يتطاول لكبريائه مخلوق، وأكبر من أن يشاركه غيره في صفاته.. سبحانه وتعالى عما يشركون.[5]

وعلى هذا يتبين أن صفتي الجبار والمتكبر بالنسبة لله تعالى صفتا مدح وتنزيه لا ذم ولا تشبيه، وجموع المسلمين يعتقدون ذلك ويفهمونه جيداً وإن أصر المستشرقون على فهم العكس من ذلك كما هو بيِّن من فريتهم. فإننا نرد بما قاله القائل:

علـيٌّ نحـتُ القـوافي مـن مقـاطـعـهـا

ومـا عـلـيٌّ إذا لـم تـفـهـم الـبـقـر[6]

---

(١) المصدر السابق ص١٦.
(٢) راجع المصدر السابق ص٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٣٤٣.
(٤) انظر: فتح القدير، ج٥ ص٢٤٠، والمصدر السابق، ج٤ ص٣٤٣.
(٥) أضواء البيان، ج٨ ص١٢٤.
(٦) هذا البيت قاله البحتري في قصيدة كان يمدح بها علي بن مر الطائي، ونقلته عن شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٦ للقاضي علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق د/عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت.

ونأتي إلى :

٢- المقولة الثانية ومضمونها :

أن هناك تناقضاً بين الصفات الإلهية التي ذكرها محمد ﷺ ؛ ولذلك جاءت عبارته في هذا المجال مبعثرة.(١)

وللرد أقول :-

إن محمداً ﷺ ما جاء بعبارة إلا ولها وقع في النفس وصدق في الإخبار، وقد شهد بذلك كل من سمعه أو قرأ عنه ، اللهم إلا الذين طمس الله على بصيرتهم مثل : المشركين قديماً والمستشرقين حديثاً.

والدليل على ذلك أن التناقض الذي زعموه بين الصفات الإلهية لم يبينوه وإلينا لم يظهروه ، بل قالوا المقولة دون ضرب مثل أو ذكر دليل.

ولعلهم يقصدون ما تلاه علينا رسول الله ﷺ من آيات بينات تحمل صفات ظاهرات مثل قوله تعالى : ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾(٣)

فهم قد يرون أن بين ذكر المغفرة وذكر العقاب والعذاب بعد ذلك تناقض.

ونحن لا نرى أن بين هاتين الصفتين تناقضاً ؛ لأن كل صفة تختلف باختلاف متعلقها. فهو يغفر الذنب السالف لمن يقبل على التوبة في المستقبل ويخضع لله عز وجل كما يقول «ابن كثير» -رحمه الله- لأن الحكمة تقتضي ذلك.

---

(١) جاء ذلك في دائرة المعارف الإسلامية، ج٢: ص٥٦١، ٥٦٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢، ٣.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٩، ٥٠.

ويكون منتقماً شديد العقاب لمن تقضي الحكمة بعقابه من المتمردين العصاة الذين لا يراعون حرمة لدين ولا يمنعهم ضمير.[1] وكمثل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.[2]

وقوله تبارك اسمه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[3]

وبناء على ذلك فالآية الكريمة قد تكون في مقام الوعيد فتطلب وصفاً لله تعالى لمناسبها، وقد تكون في مقام الوعد فتقتضي وصفاً يناسب رحمة الله بعباده.

وقد روي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.[4]

لكنه جعل الفاصلة (غفور رحيم) ولم يكن الأعرابي يقرأ القرآن، فقال أما إن كان هذا كلام الله فلا. إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل بعد البينات، لأنه إغراء عليه.[5]

وعلى ذلك فمقولة أن بين الصفات تناقض وعبارات محمد فيها متناقضة مقولة باطلة ولا حق فيها.

٣ـ المقولة الثالثة وفيها زعموا:

أن بعض الصفات أيضاً معانيها غامضة مثل: صفتي القدوس والسلام، ويصعب علينا معرفة ما يقصده محمد منهما. كذلك الصمد لم يكن أحد يعرف معناها من المفسرين المتقدمين.[6]

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٧٠..

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة المائدة من الآية ٥٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٠٩.

(٥) هامش ج٢ ص٥٦٥ من دائرة المعارف الإسلامية تعليق الأستاذ/ جاد المولى.

(٦) راجع ذلك في دائرة المعارف ص٥٦٢، ٥٦٣، ٥٧٢ ج٢.

وللرد أقول:

أ- أما صفة القدوس فقد قال في معناها وهب بن منبه أنه الطاهر، وقال مجاهد وقتادة أي المبارك.[١]

أو المنزه عن كل وصف يدركه حسٌ أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يقضي به تفكير، وكما يقال قدس العبد في علمه وإرادته بمعنى ارتقى علمه عن الحسيات وارتقت إرادته عن الشهوات فصار لا يشابه الحيوان في إدراكه ولا يماثله في شهواته، فكذلك معنى القدرس بالنسبة لله - ولله المثل الأعلى- فقد تنزه أن يشاركه أحد في صفة من صفاته.[٢]

ب-أما صفة السلام فمعناها: الذي سلم من كل نقص وعيب لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.[٣]

وقيل المسلّم على عباده في الجنه كما قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.[٤]

وقيل الذي سلم الخلق من ظلمه وبه قال الأكثر، أو المسلم لعباده من كل شر،[٥] فليس في الوجود سلامة إلا وهي منتسبة إليه.[٦]

فأين الغموض إذن في هاتين الصفتين!

ج- أما صفة الصمد: فمعناها واضح عند جميع المفسرين القدامى ومن لحق بهم من المحدثين، فالصمد هو الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، نقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه، وذكره الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة.[٧] والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٣٤٣.
(٢) هامش الموسوعه - تعليق الأستاذ/ محمد عاشور ص٥٨٧.
(٣) هامش دائرة المعارف الإسلامية ج٢ ص ٥٨٧ الأستاذ/ محمد عاشور.
(٤) سورة يسين الآية: ٥٨. (٥) فتح القدير ج٥ ص٢٩٣.
(٦) هامش دائرة المعارف الإسلامية ج٢ ص ٥٨٧ الأستاذ/ محمد عاشور.
(٧) نقلاً عن تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٧٠.

عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه... وهذه الصفة لاتنبغي إلا له؛ لأنه ليس له كفؤ وليس كمثله شيء فهو سيد على كل المخلوقات ولا يساويه أو يشابهه أحد منها.

ذكر ذلك ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات[1]

وفي ضوء ذلك جاء قول القائل:

وهو الإله السيد الصمد الذي
صمدت إليه الخلق بالإذعان
الكامل الأوصاف من كل الوجوه
كماله ما فيه من نقصان. [2]

وبهذا يتضح لكل ذي بصيرة أن الصفات الثلاث تدل على إثبات كمال الملك والعظمة لله سبحانه وتعالى وأن جميع ما في الكون عباد له إليه يلجؤون وعن ملكه لا يخرجون، وبعلمه وحكمته يتصرف فيهم كيف يشاء وإن لم يريدوا فهو فعال لما يريد متى شاء وكيف شاء، ولا يسئل عما يفعل أو يعمل.

وعلى ذلك فما ادعاء المستشرقون من غموض لهذه الصفات ادعاء فاسد وقول باطل.

٤ ـ المقولة الرابعة ومضمونها:

أن هذه الصفات تجعل إله الإسلام جباراً مخوفاً لا تكن له القلوب إلا الوجل، بخلاف إله النصرانية فهو رحيم أرسل ابنه الوحيد لينتحر على الصليب.[3].

---

(١) راجع فتح القدير، ج٥ ص٦١٣، وابن كثير، ج٤ ص٥٧٠.

(٢) انظر دروس في العقيدة للشيخ صالح بن محمد العليوي ص٦٢ دار طيبة الرياض.

(٣) راجع المستشرق نيكولس ومفترياته على الإسلام ص٢٥٧، ودفاع عن العقيدة والشريعة ص١٨، ١٩.

وللرد على هذه الفرية أقول:

على رسلكم إن إلهنا وإلهكم واحد أحد لا صاحبة له في الكون ولا ولد، وإن من ذكر عكس ذلك فلا يملك دليلاً واحداً يثبت مدعاه اللهم إلا الهوس والظن والتخمين الذي لا يغني من الحق شيئاً.

والنصرانية الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام تلتقي مع الإسلام في معرفة الله عز وجل، ولا تقول بغير ما يقول به الإسلام في عقيدته تجاه الله جل وعلا لأنه هو الدين الحق في دنيا الواقع: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

والحب هو الأساس في هذا الدين القويم، والإله الذي عرفه الناس من خلاله وصف نفسه بأنه سبحانه يحب المتقين: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

ويحب المحسنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]

ويحب الصابرين: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

كما وصف نفسه عز وجل في سورة المائدة بأنه يحب المقسطين: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩.
(٢) سورة أل عمران الآية: ٧٦.
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٣٤.
(٤) سورة آل عمران الآية: ١٤٦.
(٥) سورة المائدة الآية: ٤٢.

وفي سورة التوبة بأنه يحب المطهرين: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

وفي سورة الصف بأنه يحب المقاتلين في سبيله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[2].

فهو يحب كل الصفات الطيبة التي يتمتع بها العبد لكي تنتظم عجلة الحياة ويعيش الناس في حب وآمان وطمأنينة، وعلى العكس من ذلك يكره كل من يحمل صفات رديئة ويطلب منه العودة إلى الخير والحق، فإن عاد فإنه سيجد إلهاً غفوراً رحيماً وإلا فهو عليه جبار منتقم.

ولذلك قال لرسوله الأكرم ﷺ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾[3].

فليس هو جبار سبحانه إلا على العصاة العتاه الذين يريدون أن يعكروا على الناس صفو الحياة، أما التائب المقر بذنبه المبتعد عن الشر وأعوانه فإن ربه به رحيم ودود.

وعلى ذلك فالزعم -كما يقول الشيخ محمد الغزالي- بأننا نعبد إلهاً لا يعرف إلا الجبروت والإرهاب غلط وكذب، وهو كالزعم بأن هذا الإله غسل خطايا المجرمين بدم ابنه الحبيب كما يقول النصارى.

والحق أن النفس المجرمة لا يغسلها من خطاياها إلا أن تتطهر وتقلع عن غيها، وليس يغني عن القلب الأسود قربان يتقدم به بشر أو ملك إن ذلك مسخ للفضيلة وجور في القضاء.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٨.

(٢) سورة الصف الآية: ٤..

(٣) سورة الحجر الآية: ٤٩، ٥٠.

وليس الخضوع لله في الإسلام هو جبر، بل عبودية، والعبودية لله تعني التحرر مما سواه، وتلك هي السيادة االتي لا تدانيها سيادة.

والإنسان الذي يشعر بأن خضوعه لله وحده حق، وأن ذلته لغيره باطل، هو إنسان عظيم بلا ريب.. وينفذ أوامر الحق بكل حب وسعادة وتقدير؛ لأنه يعلم أن إلهه يحب من يفعل ذلك[1] وعلى ذلك فما أكذب القول بأن الإله في الإسلام إله خوف لا إله حب.

❁ ❁ ❁

(١) انظر دفاع عن العقيدة والشريعة، ص١٩، ٢٠.

obeikandl.com